التضحية والتفاني

في

سيرة القاسم العياني

مقـدمة

الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام علم من أعلام الهدى، ونبراس وقدوة وأسوة لكل من تأسى واقتدى، وما أحوجنا اليوم إلى أن نتلمس طرقنا إلى الله على خطى أهل البيت الطاهرين في عالم الظلم والظلام والجبروت والطغيان والزيف والتضليل. وهذا المختصر عن هذه الشخصية الفذة كومضة من نور سناه، ومجه من لجة من بحر عطاه، عسى أن يجد فيها القارئ مناه ويظفر بمبغاه.

لقد كانت سيرة الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام نموذجاً فريداً للحاكم المسلم الصادق

مع الله ونفسه ومع الناس،مع زهد يذكرنا بزهد الإمام علي عليه السلام، وورع شديد،وتمسك بالقرآن الكريم وبنهج آبائه الطاهرين،فإليك أخي القارئ الكريم نموذجاً مختصراً بعنوان (الإمام القاسم العياني سيرة عاطرة).

[تضحية وفداء وجهاد وزهد وورع وعلم وعمل ورحمة وعطف] نهديها إلى كل من يزور ذلك المقام المقدس كما همه في التعريف بهذا الإمام العظيم والاطلاع على بعض جوانب سيرة الإمام المنصور، ونعتذر من الخطأ والزلل والقصور فعلى قدر الكاتب تكون الكتابة، وقد جاء هذا المختصر ضمن السلسلة التي عني بكتابتها طلاب الدورة العلمية بمدينة ضحيان وكان لي الشرف أن كلفت بالكتابة عن هذا الإمام العظيم من قبل الأساتذة الأفاضل فجزاهم الله خيراً وتقبل منا ومنهم صالح الأعمال،

وصلى الله على محمد وآله خير آل.

طالب العلم الشريف

يوسف عبد الله الفيشي

الدورة العلمية مدرسة المصطفى(ص)
ضحيان صعدة.

١٤٢٤ هـ ٢٠٠٢ م

نشأته وقيامه

نشأ عليه السلام كما نشأ أجداده على العلم والإيمان والطهر والفضيلة حتى صار علماً شامخاً لكل القاصدين والمسترشدين. قضى عليه السلام بترج ببلاد خثعم زهاء العشرين عاماً متفرغاً للعلم والعبادة قبل أن يقدم إلى اليمن وسيرته عليه السلام تذكر مسير اليمنيين إليه عاماً بعد عام بمقره بترج يدعونه للجيء إلى بلادهم وقيادتهم وكانت دعوته عليه السلام سنة ٣٨٨هـ.

قيامه عليه السلام وبيعته

قام ببلاد خثعم ثم بعث رسولين عليه السلام إلى اليمن في شهر شوال من سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة لاستنهاض الناس إلى بين يديه، ويؤديان إليه طرفاً من اعشار اليمن ، وأصحبهما كتاباً إلى الناس عموماً، فوصلت الرسل إليهم، فقام في ذلك رجال من المسلمين من البونيين والخشب -وهي من بلاد همدان على بعد مرحلة شمال صنعاء- وقام أيضاً رجال من المشرق والصيد -وهي بلد قيل من بلاد حاشد بالشرق من ريدة- وجمعوا من البر والزكاة عشرة آلاف درهم، واجتمعوا في البون لعشر باقية من ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة، وساروا حتى وصلوا صعدة، وأنضاف إليهم جماعه من الناس، وساروا حتى وصلوا إلى الإمام

القاسم عليه السلام، وهوإذ ذاك في أسفل وادي بيشه، فلقيهم أولادهُ: جعفر وعلى وسليمان بنوالقاسم عليه السلام في رؤساء خثعم وغربها، ثم قدموا على الإمام في حصن له وكان قد شكى شكوى منعته من لقائهم، فقصدوه في موضعه وأقبل إليه خلقٌ كثير من خثعم عند قدوم أهل اليمن.

واستأذنه حسين بن أحمد يعقوب يسمعه شعراً فأذن له، وقال: أنشد، إن كان نشيدك محروساً من ذم العرب.

نذكر من القصيدة أبياتاً مختصرة منها:

دعانا القاسم المنصور يبغى

هدايتنا ويمنعنا الأثاما

فلبينا لدعوته وقمنا

عجالاً في إجابته كراما

نبادرنفعه نبغي رضاه

نجيب السيد العلم الإماما

أمير الـمؤمنين له مقام

من الآباء حُببَ ذا مقاما

أجبناه بكل فتىً عبوسٍ

أخا صبرٍ إذا ما الموت حاما

إلى أن قال:

فيانور الخلائق هاك منّا

مودتنا وطاعتنا تماما

وقم في الخلق فا بعثهم بعدل

وجلِّ الجهل عنهم والظلاما

وجدد دين جدك بعد درسٍ

وأورد من ينازعك الحماما

فهمدانك قومي قد أطاعوا

وهم يدك التي تروي الحساما

وخولان الحماة لهم ظهيرٌ

لدى الهيجاء يجلون الظلاما

بهم فأذق عداتك ما استحقوا

ووطئ ثغرهم يمناً وشاما

وكل الأرض مغربها وشرقاً

بنصر الله والبيت الحراما

ثم تقدم مشائخ المهاجرين فقالوا يا بن رسول الله قد دعوت فأجبنا مؤيدين لفرض الله في إجابتك ومسارعين للزلفى عند الله في طاعتك وها نحن مستمعون لأمرك نأتمر بأمرك وننتهي بنهيك، فلما استمع كلامهم قال مجيباً لهم: (قد قمتم بما يجب عليكم وأجبتم ابن نبيكم، وسارعتم إلى داعيكم

فشكر الله سعيكم وأحسن ثوابكم) وأمرهم أن ينزلوا في فناهُ فأ قاموا عندهعليه السلام عدة أيام، ثم نهض بهمعليه السلام حتى وصل بالقرب من صعدة وأقام بها أياماً وهو يفرق عماله ويقرر لهم الرسوم الشرعية.

طرف من حياته الجهادية المتواصلة

بذل الإمام عليه السلام كل حياته جهاداً في سبيل الله بالكلمة والنصيحة، وبالسيف والرمح، وبالمال والولد والأهل، وكان إذا حضر معركة نازل أقرانها وأنزل فرسانها واثباً عند الصولة، راكداً عند الجولة، رادعاً لأرباب الظلم، راعياً لأرباب العلم.

لقد كان عليه السلام في نهجه السياسي وسلوكه صاحب نظرة سياسية سليمة، لا يميل إلى الشدة، ولا يحب أن يتورط في إزهاق الأرواح بقدر الإمكان. ملتزماً بسنه أجداده الأكرمين، في تعيين الحكام وتوليتهم للبلاد، جاداً في إقامة العدل وعزل الحكام الذين تظهر منهم المخالفة والخيانة دون مراعاة لنفوذهم، يذكرنا بذلك المسلك الذي اتبعه جده

الإمام علي عليه السلام.

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل نجران بعد حمد الله تعالى والثناء عليه:

(أما بعد فإنه لا خطأ بعد تذكرة، ولا ذمامة بعد معذرة، وقد قبلت عذر من اعتذر، وتجاوزت عن خطئية من قصر، فتعوضوا من سيئاتكم إحساناً، ومن زللكم استمكاناً.

واعلموا أن من رجع عن سيئته كأن لم يسئ، ومن عاد في غيِّه نحس وغوى، وقد عرفتم جميعاً أنه لا معذرة لم عصى الله حتى يرجع عن معصيته، ولا توبةً لتائب حتى يندم على خطيئته، وقد أظهرتم جميلاً شُكرتم عليه، فحوطوا قولكم بالتمام، وأنفسكم بالإسلام، واعلموا أن للإسلام حرمة ترعى، وللأمانة والديانة أوامرُ لا تعصى، ومن قصر عن بعض ما أمره الله كمن أضاع جميع أمره

ونهيه، والله تعالى يقول وقوله الحق: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: ٨٢] صدق الله العظيم.

ثم أقام بصعدة، واستقرت أوامره النبوية في كثير من الأقطار اليمنية، ودخل صنعاء، وأستحكم أمره في مخاليفها، وأنتشر في كثير من اليمن، ودوخ كثيراً من الأعداء، واستولى على بلادهم مجرياً للأحكام، قائماً بشريعة رسول الله ﷺ غير وأنٍ ولا مقصرٍ، وكان يقود الجنود الكثيرة.

قال في الحكاية: أنه حدث عليه خلاف من بعض أهل نجران، فأمر إلى ولاته في صنعاء وعمالها، فجمعوا الجنود الكثيرة منها ومن غيرها من أرض الخشب والبونَين وغيرهما من ولاياته، ثم نهض إلى نجران في عسكر ضخم بلغ عدد الخيل فيه ألف

فارس سوى نيف وثلاثين فارساً، وعدد الرجال ثلاثة آلاف راجل ومائتين وأربعين راجلاً، فلما استقر في نجران فروا أضداده، وأسلسلوا قياده، وعاد المنصور عليه السلام بجنده إلى صعدة مظفّراً منصوراً، ثم أمر بدراهم كانت قد حصلت له في نجران وضم إليها شيئاً كانت في صعدة من خراجها وأمر بأن يقصّد ذلك على جميع العسكر، فقبض من تلك الدراهم بعض العسكر وكره أكثرهم الأخذ من تلك الدراهم استقلالاً لها، فلما علم عليه السلام بذلك خرج وجمع الناس له، فتكلم معهم بأن قال: يا جميع شيعتي وجنودي وأهل طاعتي، قد دعوتكم فأجبتم، واستنصرتكم فنصرتم، وأنا كثير الشكر، لكن عند الله بدءاً وعند كافة ولد آدم، ثم قال في آخرها: وأما ظنكم أني تخلفت عليكم بشيء سوى ما أمرت به زاداً لكم فبالله أحلف، وحق جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ادخرته عنكم، فاعذروا ابن بنت

نبيكم، ولا تطلبوه مالا يطيق فيحبط أجركم.

قال الراوي: فلقد رأيت أعين كثير ممن حضر تفيض بالدمع فقالوا جميعاً: يا بن رسول الله أقبل عذرنا، وأقلنا فنحن خدمك وأهل محبتك، والأمر أمرك ثم عاد إلى منزله وقد رضي عسكره، وعاد ولاته وجنوده إلى كل ناحية، ثم جرت الأمور علىسنن الإستقامة، وخطب له في نواحي مخلاف وكحلان ومايليه، لم يزل دأبُهُعليه السلام إقامة قناة الدين وإخماد نار الملحدين.

إلى جانب ذلك كان الإمامعليه السلام مشهوراً بكرمه وتواضعه، وسعة علمه، ومن ذلك ما ذكره مؤلف سيرته حيث قال: لقد شاهدنا من الإمامعليه السلام من الفضل والمواساة، فلقد كان يأتي الضعفاء والمساكين فاختلطوا بعسكره، وكان ينفق على نيف وسبعين من الضعفاء، وكان مع ذلك ربما يكون الطعام بين يدي أصحابه وهوفي مضرته فيسمع أصوات الضعفاء

يستطعمونه فيقول:

(يا أصحاب؛صبرنا من هذا الطعام وإطعامه هؤلاء الضعفاء ثوابنا بذلك الجنة، قوموا فارفعوه إليهم) فيرفع إلى هؤلاء الضعفاء ويطوي هووأصحابه. وكان بعد أن انقطع به وبأصحابه الزاد ولم يجد ما يعمهم به لا يأكل من الطعام إلا قدر ما يقيم به روحه وربما يطوي ليلة ويوماً ثم يؤتى بطعام فربما رفع منه الشيء اليسير إلى فيه ثم يقول: ارفعوا هذا إلى بعض من رأيتم أنه قد لحقه الضرر. فيقول له أصحابه: نرفعه ونعيد إليك من الطعام ما تأكل. فيقول: لوأردت أكلاً لأكلت، ولكني حيث ليس أجد ما يعم هؤلاء الجماعة أواسيهم بنفسي حتى أكون في مثل أكثرهم ضرة.

قال مؤلف سيرته:رأينا منه تلك الليلة وقد برز إلى صحراء بعيداً من منزله الذي نزله فصلى بأصحابه الظهر والعصر،وقعد يتسانا صلاة المغرب

والعشاء، وقعد حوله أصحابه يتحدثون يسألونه فيما يحتاجون إليه في حلالهم وحرامهم ومعرفة خالقهم، وكان في الجماعة رجل بدوي قد تبع الإمام عليه السلام من أرض خثعم فرد عليه الإمام طرفه، وقال له: يا شيخ أتعرف ربك؟ فقال: يا بن رسول الله نعم.

قال: فأين هو؟

قال البدوي: في السماء.

فقال الإمام للبدوي: فأين كان قبل أن يخلق السماء؟!

فرد عليه عند ذلك: أما هذه المسألة فلا تمتحني بها فلست أحسنها.

فرد عليه الإمام: يا شيخ العرب لم أرد امتحانك ولكن أريد هدايتك.

قال البدوي: فما يفيدني يا بن رسول الله؟

فقال له عند ذلك: يا شيخ إن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما، فخلق السماء فاسكنها الملائكة، وخلق الأرض فأسكنها بني آدم، وخلق الهواء فاسكنه الجن؛ لأن الجن خلق خفيف والهواء خفيف، وإن الله كان ولامكان، ولا يحتاج إلى مكان، واحد أحد لا شريك له ولا مثيل، ولا هويحب الفساد، ولا يريد ظلما للعباد.

فقال رجل من الجماعة: يا سيدي هذا البدوي لا يطلب التعليم ولا يطلب إلا الدنيا.

فردَّ عليه الإمام قائلاً: إلاّ نفعل، فإن هؤلاء البدوإذا عزم الإنسان منهم على تقوى الله كان له في ذلك عزم ونية وبصيرة.

ولا يفوتنا هنا في هذه الصفحات المتواضعة التي تتضمن شيئاً من سيرة الإمام وجهاده وذكر بيعته أن

نذكر جزءاً من كتاب له إلى أهل طبرستان، والذي تضمن جملة من الحكم والنصائح الدالة على حكمة الإمام وعلمه وفصاحته.

فأقول قال في الحدائق الوردية: ومن رسالة لهعليه السلام إلى أهل طبرستان، وروى الإمام المنصور با لله أبومحمد عبد الله بن حمزةعليه السلام منها نكتاً فتلقيناها كما رواها لأنها لم تنفق لنا كاملة وعنوان هذه الرساله (من الامام القاسم بن علي العياني إلى جماعة الشيعة الطبريين العارفين بفضل ال محمد خاتم النبيين) قال فيهاعليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلاته على محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين.

إلى جماعة من آمن واتقى وصدق بالحسنى ونهى النفس عن الهوى وآثر الآخرة على الدنيا أما بعد؛

يا شيعتنا الأخيار، وخلف الأبرار، فإنكم تريدون محلة دونها مهلكة مضلة، لا تجاز بغير دليل، ولا تُعبر من الزاد بقليل، من سلكها بنفسه ضل، ومن ترك الزاد لها خذل، آلُ نبيكم أدلاؤكم عليها، وأعمالكم الصالحه زادكم إليها، فلا تفرطوا رحمكم الله في الزاد والدليل قبل سلوكها، فكم سلكها قبلكم من المفرطين فهلك، وكم رام الرجعة منها فمنع، ذلك والتسويف والرجا يوردان ولا يصدران، والخوف والعمل ينقذان ولا يبطلان.

ثم ذكر عليه السلام صدراً من المواعظ والحكم النبوية، ثم قال:

- أصل التأويل أول الحبال، والاختلاف في الأئمة أول الضلال، والاعتماد على غير الذرية أول الوبال.

- وأصل العلم مع السؤال.
- وأصل الجهل مع الجدال.
- العالم في غير علمنا كا الجاهل بحقنا.
- الراغب في عدونا كا الزاهد فينا.
- المحسن إلى عدونا كاالمسيئ إلينا.
- الشاكر لعدونا كالذام لنا.
- المتعرض لنحلتنا كالغازري علينا.
- معارضنا في التأويل كمعارض جدنا في التنزيل.
- الراعي لما لم يسترع كالمضيع لما استرعي.
- القائم بما لم يستأمن عليه كالمتعدي بما استحفظ.
- الخاذل لنا كالمعين علينا.
- المتخلف عن داعينا كالمجيب لعدونا.
- معارضنا في الحكم كالحاكم بغير الحق علينا.

- المفرق بين الأئمة الهادين كالمفرق بين النبيين.

- هنا أصل الفتنة ياجماعة الشيعة

ومن هذه الرسالة، قوله عليه السلام:

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينتظمان بغير زمام، ولا يؤدى فرضهما بغير إمام.

- الإقرار بالنبوة لا تصلح إلا مع الإقرار بالذرية.

- الإقرار بالكتاب لا يصلح بغير نصاب.

- مقلد الناس كالباني على غير أساس.

- طالب العلم من غير أهله كمشتري الدر بعد جبره.

- المؤتم بغيرالعترة كالأعمى يتبع الأعمى.

ومنها قوله عليه السلام: أما تعلمون -رحمكم الله وهداكم- أن أصل الهلكة منذ بعث الله سبحانه آدم عليه السلام إلى هذة الغاية لم يكن إلاَّ بالاحتقار للأنبياء صلوات الله عليهم في أيامهم وبالذرية من

بعدهم إلى أن تقوم الساعة.

وقد واجه عليه السلام كثيراً من المشاكل والمصاعب ومن النكث والغدر والنقض للعهود فكم من الحملات قادها ضد الفاسدين والناكثين وكان يواجه اللوم والعتاب وتثاقل الأنصار عن نصرته، وله كلام يذكر فيه حالهُ معهم وهويوصي إبنه، نذكر منها ما يلي:

قال مؤلف سيرته: وهذه رقعة له إلى ولده جعفر بن القاسم بن علي:

الذي أوصيك به يا بني تقوى الله، فإن من اتقاه جعل له من أمره يسراً، ومما تضيق مه مخرجاً، وقد ساقت الضرورات أباك إلى المدخل مع هذه الأمة التي لا يسع مؤمن الدخول معها إلامن بعد جهد وضرورة، ثم إنه ليس أحد أولى منك يا بني بمؤازرتك لأبيك، ومعاونتك على ما قد دخل فيه،

فكن عند ظنه، واحضر نفسك الصبر على ما يلم بك من مقام هذه الدنيا، وأعلم أن الرجل لا يوصف بالرجولة حتى يكون حازماً، فأحزم في أمورك،وأعلم أن الناس مبتلىً بعضهم ببعض، ومفتون بعضهم ببعض،فاصبر على من آذاك منهم، ولا تفرحنّ بقول من حسن لك القول،فربَّ قول حسنٍ من تحته سيئ، ولا تظهرن من نفسك لعدوعرفت عداوته أنك تشنأه، ولا تثقنّ بصديق رأيت منه ما تهواه، فليكن حذرك من صديقك كحذرك من عدوك مع إظهار الجميل.

وقد ظل الإمام عليه السلام يجاهد الناكثين والمفسدين إلى آخر أيام حياته وهوفي صراع مرير ومصائب شديدة. وقال فيه سلامة بن الحداد شعراً بعد أن شفي من مرض. نذكر منها مايلي:

ملأ القلوب جلالة ومهابةً

وهوالجواد الماجد البسام

وإمامُ حق قد تبين فضله

مامثله في العالمين إمام

ما إن يقاس بفضله فضل ولا

بمقامه أبداً يقاس مقامُ

اعتل فاعتلت قلوب ذوي

شغفاً به واحتلها الأسقامُ

وأقاله رب العباد فأصبحت

قد صحت الأديان والاجسام

وأتم دولته الإله لخلقه

وأدامها ما دامت الأيام

ووقاه أسباب المتالف دهره

قال مؤلف سيرته: فلما قل الناصر وخذله خولان عاد بعسكره ذلك من طريقه التي أتى منها، ولزم منزله، وجعل مقامه حيناً بحصنه في ضيعته بمذاب، وحيناً بعيان في منزلٍ من منازله أيضاً كان هنالك داخل عيان بين بكيل. وصيرّ بعض أولاده ببلد بني ربيعة، ولزم التصرف فيما بين بلد بكيل وبلد بني ربيعة، ولم ينقطع أحد من بكيل ولا من بني ربيعه عنه عليه السلام.

وأما أهل اليمن فيتصل به منهم من كان مؤتماً به منهم وهم القليل، وانقطع عنه من كان رافضاً له، أومن أهل الدنيا مشتغلاً بدنياه، فرأىعند ذلك أن يرسل إلى الناس بكتاب لإقامة الحق عليهم وفرقه إلى بلدانهم، قال فيه عليه السلام بعد الحمد لله والثناء عليه:

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين،

ورسوله إلى الخلق أجمعين، وأنه قد أدى الرسالة، وأبلغ في الحجة،وأوضح على الله الدلالة، وأن أولى الناس بعده أخوه الذي أختاره أخاً في حياته، وأستخلفه بعد وفاته، علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، أمير المؤمنين وسيد المسلمين، والقائم بأمر رب العالمين، وأن ولديه السبطين الحسن والحسين ابني رسول الله ﷺ وذريته، وموضع خيرة الله وعترته،وأن الإمامة في ذريتهما المنتخبين، وعقبهما الصادقين،الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً،وبعد؛ياكافة المسلمين،ومن هومن أهل النحلة والدين، فإنا نشكوإلى الله وإليكم أنفسكم،وطول غفلتكم،وما قد أضعتم من فرض عظيم عند الله قدره،وجليل أمره،وثقيل عليكم وزره،فاتقوا الله وأفيقوا من غفلتكم،وانتبهوا من نومتكم،قبل أن تحل بكم الندامة،وتبعد منكم السلامة، واذكروا ما دعاكم الله إليه في محكم كتابه

حيث يقول جل وعلا: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}[المائدة:٢]. ويقول عز وجل: {وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}[الأنفال:١]ويقول {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنْكُمْ}[النساء:٥٩] ويقول تبارك وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ ... الآية}[التوبة:١١١] فقد دعاكم الله للنجاة والكرامة، ودلكم على الخير والسلامة، فنكثتم بيعتكم مختارين، وملتم إلى هوى أنفسكم مسارعين، فأصبحتم لخالقكم مسخطين، ومرضين لأعدائه الجبارين، فهل منكم منتبهٍ عن غفلته؟ ومتيقظٍ من نومته؟ أومستقيل من زلته؟ أونادمٍ من خطيئته قبل أن يهجم عليه ما وعد الله به؟ قال عز وجل:

{أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ}[الأعراف:٩٨].

تعلمون أرشدنا الله وإياكم، ونجانا من مضلات الفتن ونجاكم،أنكم دخلتم معنا في بدئ أمرنا فحمدنا مدخلكم، ،وأرضى الله عز وجل فعلكم، وأرغم جميع الشياطين طاعتكم، ثم فسحتم أنفسكم عنا وملتم طاعة رب العالمين، ورفضتم ما دخلتم فيه من الهدى المبين، فأصبحتم ببيعتكم ناكثين، وعن المنهج المستقيم ناكصين، وليس ذلك بضار لنا ولا ناقض عند الله لدعوتنا،قال الله عز وجل: {إِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [التغابن:١٢] ولولا ما وعد الله في الموعظة من الثواب لما أوعظناكم، فرجونا عن ذلك رجعتكم، وتذكرة من هومن المؤمين بينكم، واغتنموا قبولنا لكم ما دمنا موجودين، وما كنتم لذلك مستطيعين، فإن فعلكم قد أوهن الإسلام، وأعز دعوة الطغاة، وأكبكم موبق الآثام، فانظروا ماذا تفعلون، وبماذا

عندالله تعتذرون، {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ}[الشعراء:٢٢٧].

والحمد لله كثيراً والحمد لله رب العالمين. والسلام على عباد الله وأوليائه الصالحين، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين.

قال مؤلف سيرته: ولما لزم العزلة والانقباض عن الناس لقلة الموافق وكثرة المنافق تكلم عليه روافضه من الشيعة، وأبدوا الطعن في السيرة، فلما بلغه ذلك كتب كتاباً رد عليهم، دفع به باطلهم، وقمع به محالهم، وسماه كتاب (الرد على الرافضة) وكان آخر كتاب كتبه من العلوم.

قال الحسين بن أحمد: واعتل الإمام صلوات الله عليه واشتدت به علته في سنة ثلاث وتسعين، ونقل منازل أهله من مذاب إلى عيان، وجعل بناته بعيان، وكان قد كتب وصيته قبل وفاته إلى أولاده، ورسم فيها كل ما يحتاجون إليه من المعرفة لديونه، وما لا

يستغنون عنه من وصيته، وروى عنه صلوات الله عليه عند ثقله من علته ووصول بناتٍ له كن عند أحمد بن الملاح كان قد أمر أن يراهنّ، فقال لبنيه: يا بني إني قد أجدني ثقلت من هذا المرض، ولا أظن عند وصول هذه البنات إلا أنها قد حضرت الوفاة، لانه يروى في الخبر أنه ما حضرت الوفاة أحداً من النبيين والوصيين والحجج المستخلفين إلا حضرة اكفانه، وساق الله إليه لما يريد الله لغيره من سيرته، وما يستحق لديه من تكريمه.

فخرج لذلك أولاده وحضور من أهل بيته، وقالوا: يا مولانا يبقيك الله لنا، ويجعل عمرك طويلاً بعدنا.

فقال: لهم ما قضاهُ الله ففيه الخيرة والتسليم منا لما حكم.

وروي عنه صلوات الله عليه أنه ما بدا منه قرب وفاته جزع من شدة علة، ولا إختلال من عقله،

ولا تغير من طبعه وحالته، ومازال ثابت العقل، حسن القول والفصل، حتى فاضت نفسه بغير نزاع شديد ونكد جهيد، وكان ذلك صباح نهار يوم الأحد لتسع خلون من شهر رمضان سنه ثلاث وتسعين وثلاث مئة سنه ومشهده عليه السلام بعيان[1] مشهور مزور.

قال مؤلف الحدائق: أخبرني شيخنا الزاهد بهاء الدين أحمد بن الحسن الرصاص رضي الله عنهما أنه كان معه وجع فمسحه بتربته الشريفة فرفعه الله تعالى عن قرب.

(أولاده عليه السلام)

يحيى وجعفر وعلي وسليمان وعبد الله والحسين.

---

[1] رحمه الله عمر الله له عمر الله لهما تقع عيان في الشمال الشرقي من حرف سفيان ﷺ كم تقريباً رضي الله عنه

مؤلفاته نقلاً من كتاب أعلام المؤلفين الزيدية للسيد العلامة عبد السلام الوجيه.

١- أجوبة المسائل.

٢- أجوبة مسائل الطبريين.

٣- الأدلة من القرآن على توحيد الله تعالى.

٤- كتاب الاستفهام.

٥- التثبيت والدلالة.

٦- التجريد.

٧- التفريع.

٨- التنبيه والدلائل.

٩- التوحيد ونفي التحديد.

١٠- الرد على الرافضة[وقيل على من طعن عليه].

١١- رسالة إلى طبرستان والجيل والديلم.

١٢- رسالة إلى ابنه علي لّما ولاه بلاد وادعة.

١٣- مجموع المنصور بالله العياني وهوفي أجوبته على المسائل والمواعظ.

١٤- كتاب حدوث العالم.

١٥- ذم الأهواء.

١٦- وصاياه ودعوته.

وكانت مكاتباته ومخاطباته مشحونه بالحكم فمن أراد أن يطلع عليها فهي موجودة في كتاب سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن على العياني تأليف الفقيه القاضي/ الحسين بن أحمد بن يعقوب موجود في المكتبات.

قال الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى عليه السلام:

[والقاسم بن على المشهور بالعلم الغزير

الواسع الدفاق.

ولقد كان شاعراً فصيحاً طلق اللسان خطيباً ومصنفاً، فلقد بلغ عليه السلام في كل فن ذروته، ونذكر هنا شيئاً من شعره.

قال عليه السلام وهويشكوالغربة من أرضه ووطنه:

تأوب همي والهموم تؤب

وقل العزاء والنائبات تنوب

وإن الذي أمسى ومن دون

مسيرة شهرٍ كامل لغريب

إلى أن قال:

بغوا لي بديلاً بعدأن عدت

وسيطاً وهل رأيٌ بذاك

ولم يحفظوا عهدي ولا كون

لديهم فهل عيش كذاك

فمن ذا الذي يهدي إليهم

وينظر فيما عندهم ويؤوبُ

فإن كان منهم وافي العهد

على وده فالنصر منه قريب

إلى آخر قصيدته عليه السلام التي يخاطب فيها خولان.

الخاتمة

وهكذا انتقل الإمام عليه السلام وقد خلَّف للأجيال من بعده دروساً في التضحية والفداء، والإيمان والتقوى، والعلم والعمل، قضى عليه السلام ملتزماً بنهج جده المصطفى وآهل بيته الطاهرين، لقد كانت حياته عطاء ولين، وعطف ومودة، مع حرصٍ على هداية الناس جميعاً، فكان خير مثال، وخير قدوة وأسوة، فحياته كلها قداسة وطهر وفضيلة.

نسأل من الله جل وعلا أن يوفقنا لتلمس حياته والسير على نهجه عسى أن أكون قد وفقت في هذا الكراس الصغير لاختيار الصفحات المشرفة من حياته عليه السلام وهذا جهد المقل.

أقول مخاطباً ذلك الطود الشامخ متمثلاً بهذه الأبيات الشعرية اعذرني سيدي.

واعذر فكل مفوه

لسنِ بحقك لا يقوم

من ذا يفي بعظيم حقك

إنه الحق العظيم

فاجزه واقبل عذره

فالعذر يقبله الكريم

واشفع له إذ ليس ينـ

ـفعه الصديق ولا الحميم

فعساه يظفر من رضى

رب الأنام بما يروم

وصلى الله على محمد وعلى آله الكرام.

طالب العلم الشريف / يوسف الفيشي

مدرسة المصطفى

المراجع

١- سير الإمام المنصور بالله القاسم بن على العياني.

٢- الحدائق الوردية.

٣- التحف شرح الزلف.

٤- أعلام المؤلفين الزيدية.

الفهرس

مقدمة ---------- ٥

نشأته وقيامه ----------٨

قيامه عليه السلام وبيعته ----------٩

طرف من حياته الجهادية المتواصلة ----------١٤

أولاده عليه السلام ---------- ٣٥

مؤلفاته ----------٣٦

الخاتمة ----------٤٠

المراجع ----------٤٢

الفهرس ---------- ٤٣